مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية

اسم المقال: مجالس الإملاء ودورها في نشر الثقافة العربية والإسلامية
اسم الكاتب: د. أحمد علي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2959
تاريخ الاسترداد: 2026/06/05 00:02 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مجالس الإملاء ودورها في نشر الثقافة العربية والإسلامية

د. أحمد علي*

الملخص

تتناول الدراسة لمحة تاريخية عن مجالس الإملاء ودورها في نشر الثقافة العربية، وأبرز مظاهر تطور الحضارة العربية الإسلامية، وإسهاماتها الفكرية، وأدوات نشر الثقافة العربية والإسلامية وظهور التعليم والمدارس والمكتبات، والجوانب المضيئة من حضارتنا العربية التي خلفها الأسلاف.

الكلمات المفتاحية: مجالس، الثقافة.

* جامعة دمشق– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– قسم المكتبات والمعلومات

Spelling councils and their role in spreading Arab and Islamic culture.

Dr.Ahmad Ali

Abstract

The study deals with a historical overview of the dictation councils and their role in spreading Arab culture, the most prominent aspects of the development of Arab-Islamic civilization and their intellectual contributions, the tools for spreading Arab and Islamic culture, the emergence of education, schools and libraries, and the bright aspects of our Arab civilization left by our ancestors.

Key words: overview - the culture.

المقدمة:

لكل مجتمع منذ أقدم العصور أنماطه الحضارية. و يعدُّ المقوم الثقافي من أهم المقومات الحضارية للأمة، ويتمثل هذا المقوم الثقافي في النشاط الفكري والفني الذي تخلفه الأمة لأجيالها، فهو خير دليل على حضارتها التي بلغت. وعن طريقه تتبوأ مكانتها بين الأمم.

وقد حملت الأمة العربية مشعل الحضارة قرونا طويلة و متعاقبة أعطت الإنسانية في أثنائها حصادا هائلا في كل ميادين العلم والمعرفة، وانفتحت على الحضارات الأخرى وتفاعلت معها، من دون أن تذوب فيها بل اطلعت على الإنتاج الفكري لهذه الحضارات وتمثلته خالعة عليه خصائصها وسماتها، ومعبرة عنه بلغتها العربية .

وما زال الكثير من مظاهر الحضارة العربية والإسلامية حقلا بكرا للدراسات والبحوث، وهذا يشكل مصدر إغراء شديد للدارسين والباحثين، إلا انه في الوقت نفسه هو مصدر مشقة وجهد كبيرين، ففي مثل تلك الميادين توشك أن تكون خالية من أي دراسة علمية قديمة أو حديثة. وإن موضوع (مجالس الإملاء ودورها في نشر الثقافة العربية) يشكل مظهرا من مظاهر متعددة للحضارة العربية والإسلامية، فالدراسات حول هذا الموضوع قليلة إن لم تكن معدومة، والمراجع القديمة والحديثة توجد فيها شذرات ومقتطفات مبثوثة ضمن النصوص، وإن تجميعها وصياغتها تستوجب وقتا طويلا وجهدا أكبر.

ومهما يكن من أمر، فقد حصرت المراجع، وجمعت المادة العلمية التي سأنطلق منها لتحديد الإطار العام للدراسة مبتدئا" من دراسة البيئة الثقافية التي سبقت ظهور مجالس الإملاء، ثم الحراك الفكري والثقافي الذي أفرز هذه الظاهرة التي امتازت بها الحضارة العربية، وما الأدوات الثقافية الأخرى التي أسهمت في ترسيخ الحضارة العربية وانتشارها؟ وأخيرا استخلاص السمات والخصائص التي جعلت من مجالس الإملاء تؤدي هذا الدور العلمي والثقافي.

*** – أهميته البحث:**

تأتي أهمية البحث من أهمية الحضارة العربية الإسلامية بكونها واحدة من تلك الحضارات التي ظهرت في العصور الوسطى، وقد تركت لنا تراثا فكريا عظيما في مختلف العلوم وأنواع

الفنون. وكانت لها شخصيتها الحضارية وسماتها الثقافية، وإذا كان القرن الثاني للهجرة قد شهد بواكير هذه النهضة الحضارية، فإنها نمت وترعرعت سريعا في القرن الثالث وبلغت نضجها وأوجها الحضاري في القرن الرابع الهجري، وكان الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي الذي شهدهما ذلك العصر، دافعا قويا لازدهار حركة التأليف والترجمة والنسخ، حيث انبرى العلماء من عرب ومسلمين للتأليف والترجمة في جميع العلوم ومختلف الفنون، وبرز علماء كبار في جميع الميادين لاختزال آثارهم العلمية والأدبية مصادر ومراجع لكثير من الدراسات والأبحاث في العصر الحديث.

*** – أهداف البحث:**

يهدف البحث إلى دراسة الجوانب المضيئة من حضارتنا العربية التي خلفها الأسلاف،وذلك تحقيقا للتواصل الحضاري، والتفاعل الثقافي بين ماض مجيد بلغناه، وحاضر مقرون بالتطور والتحديث سلقناه، ومستقبل واعد على أنفسنا قطعناه، كما أن هذا البحث بشكل حزمة من ضوء وجهتها حول مجالس الإملاء كظاهرة انفردت بها الحضارة العربية الإسلامية وامتازت بها. حيث أصبحت هذه المجالس مقصدا يؤمها العلماء وطلاب العلم من كل المدن العربية، ومحرجا" لكل شغوف بالثقافة وضروب المعرفة .

*** – منهج البحث:**

اتبع الباحث المنهج النظري الذي يقوم على الدراسة والبحث والاستقراء والاستنتاج، حيث اعتمدت بعض المراجع القديمة والحديثة، وبعض الدراسات المنشورة على الشابكة.

المبحث الأول: مظاهر الحضارة العربية الإسلامية:

1/1: مقومات الحضارة العربية الإسلامية:

ترتكز الحضارة العربية والإسلامية على أسس ثابتة تتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فضلاً عن التراث الحضاري السابق على ظهور الإسلام، كما أن الإسلام كان دعوة صادقة للتوحيد وكان ثورة إنسانية سامية وشاملة انطوت على رؤية سياسية متقدمة ومتوازنة ونظرة اجتماعية دعامتها العدل، وقدم الدين الجديد للبشرية مبادئ في تنظيم المجتمع تقوم

على التآخي والمساواة فضلاً عن مفهومات متطورة في النظرة إلى الوجود وإطراق العقل لفهم أمور الكون ومعرفة أسراره.

وفيما يتعلق بالجانب العقائدي نجد أن العقيدة الإسلامية تلخصت في مبدأ التوحيد، حيث نبذ الإسلام الشرك والتعددية ودعا إلى عبادة الله الواحد الأحد، والحق المطلق، وصان لأهل الكتاب حرية ممارسة معتقداتهم الدينية دون خوف أو إكراه.

وعلى الصعيد السياسي لم يقدم الإسلام نظرية في الحكم؛ بل قدم مبادئ ومعايير قوامها الشورى، والإسلام بذلك ينطوي على جدلية مرنة تجعل مبادئه صالحة لكل زمان ومكان لأن الحياة البشرية دائمة التغيير والنظريات تتبدل، أما المبادئ فتتسم بصفة الثبات والاستمرار.

وعلى الصعيد الاقتصادي انطوى الإسلام على مبادئ سامية وواقعية تتسم بالاعتدال وتستهدف العدل الاجتماعي، وأما في مجال المعرفة فقد حث الإسلام على إعمال العقل والنظر، سواء في أسرار النفس أو أسرار الطبيعة بهدف معرفة مظاهر عظمة الخالق فيما خلق وأبدع.

ومن المعلوم أن العرب هم الذين اضطلعوا بمسؤولية تكوين دولة الإسلام على إثر الفتوحات التي انطلقت من قلب الجزيرة العربية ولتشكل إمبراطورية ترامت حدودها مابين سور الصين العظيم مشرقاً والمحيط الأطلسي غرباً، فكانت جيوش الفتح تستقر في الأمصار الجديدة، حيث نقل العرب معهم دينهم ولغتهم وأعرافهم وتقاليدهم التي صارت نمطاً يُحتذى به، وفي البلاد المفتوحة جرت عملية التعريب، حيث اختلط بسائر العناصر والأجناس الذين عاشوا تحت مظلة إمبراطوريتهم الشاسعة، سواء عن طريق الزواج أم عن طريق التسري، وقد جرت الدماء العربية في عروق الترك والهنود والسريان والفرس لتسهم في توحيد رابطة الدم في دار الإسلام. وكما استوعبت اللغة العربية الدين الجديد بتعاليمه وتفسيره وفقهه، فقد انتشرت في البلاد المفتوحة مواكبة لانتشار الإسلام حيث كانت الصلاة تؤدى بالعربية، كما زادت هذه الظاهرة بعد تعريب الدواوين في خلافة عبد الملك بن مروان، حيث أقبل أهل الذمة على تعلم اللغة العربية والكتابة العربية، وأدوا دوراً بارزاً في تطوير الخطوط العربية وأقلامها، ونجاح

التعريب اللغوي دليل على انتشار ثقافة العرب؛ ذلك أن اللغة ليست مجرد أداة للتفاهم والتخاطب بل صارت في حد ذاتها فكراً وثقافة ونمط حياة.

ويمكن رصد الأساس العربي في الحضارة الإسلامية عن طريق استمرارية الحضارة العربية قبل الإسلام فيما استجد واستحدث بعد ظهور الإسلام أن الإسلام اتسم بروح التسامح إزاء الحضارات والثقافات الأخرى، وفي إطار الحضارة العربية الإسلامية أدى العرب دوراً بارزاً في مجال النظم الإدارية والعسكرية بخاصة، حيث كانت المناصب الكبرى والخدمة العسكرية حكراً على العرب حتى نهاية العصر الأموي.

وهكذا شكلت العروبة الركيزة الثانية للحضارة الإسلامية سواء عن طريق التعريب اللغوي أو الثقافي أو عن طريق التأثيرات الحضارية العربية القديمة أو إسهامات العرب أنفسهم إبان مرحلة تأسيس هذه الحضارة[1].

وأدى اتصال الحضارة الإسلامية بالحضارات الكلاسيكية في تكوين الحضارة العربية، سواء كانت شرقية: كالصينية والهندية والفارسية، أوغربية: كاليونانية والرومانية، فالعبريون القدماء تركوا في الآثار والبردات ما يدل على تقدمهم في كثير من العلوم والفنون من هندسة وتحنيط وفلك...فنحن نلاحظ أن تيار الفكر الحضاري الإنساني يتخذ طابعاً واحداً، لا ينحو كثيراً عن تاريخ الإنسان ذاته.

ومن الواضح أن فلاسفة اليونان الأوائل مثل (طاليس) قد تأثروا بالحضارة المصرية القديمة، وفهموا مبلغ علم المصريين القدماء بالرياضيات والفلك والطب في حدود القرن السابع ق.م .

وظل هذا التراث ينتقل من جيل لآخر وتتوارثه الأجيال، ويشهد بعبقريته كل من درس الحضارة وتاريخ العلم.

1/2- تطور الحضارة العربية الإسلامية:

يرجع الفضل في تقدم الحضارة العربية الإسلامية إلى الخلفاء الأمويين الذين لم ينصفهم المؤرخون المسلمون، حيث عملوا على استثمار كل مواهب رعاياهم بغض النظر عن الجنس أو الدين، وهكذا شق الكثير من العلماء والشعراء والإداريين طريقهم إلى حاشية الخلفاء

[1] - كرد علي ، محمد / الإسلام و الحضارة العربية ص (17 16،3).

الأمويين. وإلى هذه العناصر المختلفة جنساً ودیناً ، فللإمبراطورية العربية يرجع الفضل في بلوغ الثقافة والفنون درجة عالية من الرقي في ذلك العصر، فكان يزين بلاط عبد الملك مجموعة من الشعراء، مثل: جرير والفرزدق والأخطل وغيرهم، وكان هذا الخليفة المغرم بالعمارة والشعر، بل كان هو نفسه شاعراً– هو الذي أمر ببناء مسجد عمر في بيت المقدس، وفي عصر الوليد، الذي امتدت في عصره الإمبراطورية الإسلامية من الهند شرقاً إلى مراكش غرباً– وشيدت الروائع المعمارية الإسلامية مثل الجامع الأموي في دمشق، ومسجد المدينة[2].

1/3– العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية:

كان حكم بني أمية في سوريا مجرد مرحلة النمو والنضج، أما أزهى عصور الحضارة العربية الإسلامية فكان بلا شك– في عهد الخلفاء العباسيين، زمن كانت فيه سائر بلدان أوروبا ترزح في الظلمة والجهل، في الوقت الذي كانت فيه بغداد وقرطبة عاصمتا الإسلام العظيمتان مركزين للحضارة التي أضاءت العالم بنور عبقريتهما.

فعلى مدى خمسة قرون ساد الإسلامُ بقوته وعلمه وحضارته الفائقة العالمَ، فبعد أن ورث الإسلام الكنوز العلمية والفلسفية للحضارة اليونانية، نقل هذه الكنوز بعد أن أثراها لأوروبا الغربية، وهكذا وسع من الآفاق الفكرية للعصور الوسطى وترك أثراً بارزاً على أوروبا فكراً وحياةً[3].

أسس الخليفة المأمون بيت الحكمة في بغداد سنة 830، وكان حدثاً مهماً من أحداث القرون الوسطى، وأدت هذه المؤسسة الثقافية دوراً مهماً، حيث كانت تجمع بين الأكاديمية العلمية والمكتبة ومركز للترجمة، وأسهمت في نقل تراث الحضارات القديمة– فقد قامت هذه المؤسسة التي ضمت علماء من المسيحيين واليهود والعرب على الاهتمام بالمعارف الأجنبية من علوم وفلسفة اليونان ومؤلفات جالينوس وهيبوقراطس وأفلاطون وأرسطو والشارحين من

[2] تاريخ الدخول/2019/3/3 – www.alyaseer.net/vb

[3] محمد أسد / أصول حضارة الإسلام، ص 20.

أمثال الإسكندر الأفروديسي، وثيمسيتنس .... لقد كان من ناحية ما غزواً فكرياً بلغ ذروته في نوع من النشوة العلمية والفكرية بين العلماء.

وكان بيت الحكمة الحجر الأساس لمدرسة بغداد التي ظل تأثيرها حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر.

ولم تسهم مدرسة بغداد إسهاما قوياً في إيقاظ أوربا فحسب؛ بل أشرقت بالضياء على كل آسيا. فقد شقت الحضارة طرقها إلى الهند سنة 1016م. ووصلت السلاجقة عن طريق عمر الخيام حوالي 1076م، وإلى العثمانيين حوالي 1337م، ودخلت إلى الصين 1280م في أثناء حكم كوبلاي خان[4].

1/4- إسهامات المسلمين في الحضارة البشرية:

لم يكن العرب والمسلمين مجرد ناقلين للحضارة البشرية القديمة، بل تأثروا بها وأثروا فيها بإضافاتهم في جميع المعارف والفنون.

فلا بد من أن نذكر بعض العلماء والفلاسفة والكتاب الذين أثرَوا العلوم والآداب بإضافاتهم، وكان لهم تأثيرٌ ملحوظٌ في الفكر الغربي.

وأول ما استرعى انتباه المسلمين من العلوم كان الفلك والرياضيات، فإن اتجاههم الفكري، وأسلوبهم العملي قد أوديا بهم إلى توجيه اهتمامهم قبل كل شيء إلى العلوم الدقيقة.

ولم تجتذب علوم الفلك انتباه رجال العلم فحسب؛ بل جذب انتباه الكثير من الخلفاء والسلاطين، وقامت المراصد على نحو ما في كل مركز من المراكز المهمة في الإمبراطورية الإسلامية.

ويرجع العهد بمدرسة بغداد للفلك إلى عصر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين(754-775)م، الذي كان هو نفسه فلكياً- وصدرت بعض المؤلفات المهمة في عهد خلفائه وبخاصة في عهد هارون الرشيد والمأمون- فرجعت بعض النظريات القديمة وصوب الكثير من أخطاء بطليموس

[4] - الطويل ، توفيق/ تراثنا العربي الإسلامي:ص12-13.

ودرسوا الكسوف والخسوف وغيرها من الظواهر الفلكية، كما أن الدراسات الفلكية لم تكن أقل من ذلك أهمية في بلاد الأندلس، فأمير قرطبة أبدى اهتماماً خاصاً بهذا العلم– ولكن معظم تلك المؤلفات ضاعت في حروب استرداد إسبانيا من العرب.

– وفي عهد أولج حفيد تيمورلنك– بلغ علم الفلك أوجه عند المسلمين فكان مغرماً بالفلك، ويعدُّ آخر ممثلي مدرسة بغداد.

أما الرياضيات: فكانت مثلها مثل الفلك من أحب العلوم عند العرب، حيث إن الكثير من القواعد الأساسية للحساب والهندسة والجبر قد اكتشفها العلماء المسلمون، ففي الحساب نستخدم الأعداد وطريقة الحساب التي اخترعها العرب –كما أن– اختراع الجبر ينسب الفضل فيه للعرب[5].

يعد العرب المؤسسين لعلم الطبيعة، وإن كتاب ابن الهيثم عن البصريات يأتي في الدرجة الأولى في الأهمية، ويعدّ بداية العلم الحديث في البصريات ويتناول الانكسار والأحجام الظاهرة للأشياء، وانتقد نظرية إقليدس وكان أول من أعطى وصفا دقيقاً للعين نفسها، والعدسات والرؤيا بكلتا العينين.

كما أن علم الميكانيكا كان على مثل هذه الدرجة من التقدم عند العرب في تلك الحقبة من الزمن، ونستطيع أن نرى ذلك في الأجهزة البارعة التي استخدمها العلماء المسلمون في أبحاثهم، والتي وجدت طريقها للغرب فيما بعد[6].

والعرب استخدموا ساعات تدار عن طريق الأثقال تختلف عن الساعة المائية، وليس من ينكر أن البوصلة اخترعها الصينيون، لكن العرب هم الذين بلغوا درجة الكمال وطبقوها عملياً باستخدام الإبرة المغناطيسية في الملاحة البحرية.

– وفي مجال الطب: هو من أحد العلوم التي استرعت انتباه المسلمين، ففي القرون الأولى من التاريخ الهجري أصبحت جزءاً مهماً من العلم– وظهر الكثير من الأطباء والمؤلفات الطبية.

[5] – محمد ، ماهر عبد القادر /التراث الإسلامي / ص 22،19،17.

[6] – محمد ، ماهر عبد القادر / التراث الإسلامي،ص: 139–140.

ولقد أدى الأطباء المسلمون دوراً حاسماً في العلوم الطبية في الغرب.

فقد ظلت كتابات الرازي وابن سينا وابن زهر أساس العلوم الطبية في الجامعات الأوروبية على قرون عدة – ومن أهم تلك المؤلفات (كتاب الحاوي) لابن سينا وكتاب (القانون في الطب)، وجرى تدريسها في معظم الجامعات الأوروبية.

– وأعظم تقدم حققه الأطباء المسلمون كان في مجال الجراحة، فمنذ القرن الحادي عشر عرفوا كيف يعالجون المياه البيضاء، كما عرفوا التخدير الذي يعدُّ علماً حديثاً– وزعيم الجراحين هو أبو القاسم خليفة بن عباس من قرطبة، كما أخرجت الأندلس عدداً كبيراً من الأطباء من بينهم ابن رشد وابن زهر.

ووصف ابن النفيس السرياني بكل دقة الدورة الدموية قبل ثلاثمئة سنة من سرفيت البرتغالي الذي ينسب إليه هذا الاكتشاف. كما أن الطبيب المصري محي الدين تطاوي وصف الدورة الرئوية في إحدى محاضراته في جامعة فريبورج سنة 1249م.

أما بخصوص الصحة العامة ؛ فكما هو معروف أن الديانة الإسلامية تحوي بعض القواعد الصحية الباهرة كالاستحمام المتكرر والامتناع عن الخمر ولحم الخنزير.

وفي الكيمياء: ليس من المبالغة أن نقول إن الكيمياء لم يكن لها وجود قبل العرب، ولا شك أن اليونان عرفوا شيئاً من العناصر، ولكنهم لم يعرفوا شيئاً عن أهم المواد مثل الكحول وحمض الكبريتيك، فالعرب هم الذين اخترعوا هذه المواد[7].

– **المبحث الثاني: الحراك الفكري والثقافي في الحضارة العربية:

2/1–حركة التدوين العربية، نشأتها و تطورها:

إن كل ما أنتجته البشرية من فكر وإبداع– منذ وُجِد الإنسان حتى الآن موجود في بطون الكتب، وقد ضمن الله (عز وجل) في القرآن الكريم كلمه (الكتاب) معنى القرآن وسائر الكتب السماوية التي استهدف بها هداية البشر، وقد لجأ العرب إلى تدوين الوقائع والأخبار

[7] غوستاف، لوبون/ حضارة العرب، ص: 72–73.

والأشعار قبل الوحي ونزول القرآن على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) سواء بالنقش على الحجر الرواية الشفوية ترثهم شفوي وغيرها، ولكنهم لم يبادروا إلى تأليف الكتب على النحو المألوف قبل القرآن، وكان القرآن هو الذي أذكى فيهم ملكة الكتابة، وأصبح محور تفكيرهم وتأليفهم لزمن نبغ العرب في تأليف الكتب وأولوها أعظم عناية، سواء في الإقبال على قراءتها ونهل العلم منها بشغف ومحبة وإكبار، وسواء في حفظها وتأسيس المكتبات من أجلها أو شرحها وتدقيقها، وسواء في نسخها وإخراجها ونشرها وإتقان صناعتها وابتداع الفنون لزخرفتها.

2 /2 . بداية التدوين:

بدأ التدوين في فترة جمعت بين الرواية الشفهية والتدوين المتفرق، وكان ذلك بتشجيع قتادة أشهر علماء العصر الأموي المتوفى عام 117، وقد قيل لقتادة (نكتب ما نسمع، فقال: وما يمنعك أحد أن تكتب، وقد أنبأك اللطيف الخبير أنه كتب وقرأ في كتاب لا يضل ربى ولا ينسى)، ويرى ابن الجوزي أن أول من صنف الكتب هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح المكي، وقد توفي ابن جريج سنة 150، أي أدرك ما يقرب من عشرين عاماً في العصر العباسي. و ابن الجوزى يتحدث عن شئ محدد وهو تصنيف الكتب، وليس مجرد كتابة متفرقات من الأحاديث، وعليه فابن جريج هو أول من قام بالتصنيف والتأليف وليس مجرد الكتابة والتدوين[8].

في فترة الجمع بين التدوين و الرواية الشفهية اشتهر أبو عوانة الذي كان يملي ويروي بالسماع معا، يقول تلميذه عفان بن مسلم:(كان يتحفظ ويملي علينا ويخرج الحديث الطويل فيقرؤه أو يمليه، وهنا تفضيل للتدوين على الرواية الشفهية بعد أن اتضح دورها في نسيان العلم وضياعه.

2/3. اتساع التدوين الشعبي والفردي:

لم يكن الحديث أبرز دوافع التدوين لأنه ارتبط أكثر بالسماع فكان عادة أن يقال في ترجمة شيوخ الحديث إنه (سمع من فلان)، و(سمع) تعنى الرواية الشفهية. ربما كان جمع اللغة العربية ومفرداتها وألفاظها وأبيات شعرها هو الدافع الأكبر، حيث اعتاد علماء اللغة والأدب

[8] حتي، فيليب / تاريخ العرب، ص–190–199

والبلاغة والشعر دخول البوادي العربية وسماع اللغة العربية من الأعراب الذين بقوا داخل الصحراء لم يتصلوا بالحضر، فظلوا محافظين على نقاء لغتهم، ولم يعرفوا اللحن في اللغة.
بدأ هذه الرحلة للبوادي العربية العبقري العربي الخليل بن أحمد، ثم تفرغ في البصرة لوضع أسس علوم جديدة كالعروض وقواعد النحو، وأخذ عنه أعلام اللغة والبلاغة والأدب مثل سيبويه وغيره. وقد توفي الخليل بن أحمد في بداية العصر العباسي على خلاف في تحديد سنة وفاته. وقد تعلم الكسائى النحوي ت 189من الخليل الرحلة للبوادي والأخذ عن الأعراب وتدوين ما يجمع[9].

2/4 . الموالي وريادة التدوين:

ومع التقدير لدور الخليل بن أحمد الفراهيدى للعلم العربي إلا إن ريادة التدوين ظلت في أيدي الموالى، كانوا رواد التدوين كما كانوا رواد الحركة العلمية الشفهية، وأشهر علماء الموالي كان عبد الله بن المبارك(118–181)، وقد طبقت شهرته الآفاق في عصره، وقد جمع بين العلم والتدوين والتجارة والجهاد وكثرة الأتباع والنفوذ، وصنف كثيراً من كتب العلم وصنوفه، وتخصص كثيرون في نسخ كتبه ونقل علمه، وكان منهم عياذ بن عشمان. وظاهرة أسماء العلماء وألقابهم تؤكد أن أغلبية العلماء. ومن دونوا العلم كانوا من الموالي. وبجمع اللغة العربية وآدابها وجمع ما يشاع على الألسنة من حديث وتاريخ وسيرة؛ بدأ التدوين يتسع و يتنوع ويزدهر عن طريق الأفراد، ثم دخلت الدولة العباسية في الميدان خصوصاً في خلافة المأمون[10].

2/5 . ازدهار التدوين الرسمي في عهد المأمون:

أخذ التدوين تطورا مذهلا في خلافة المأمون العباسي. يكفى أن نأخذ العالم الفارسي الأصل الفراء نموذجا. لقد كان الفراء ثقة إمامًا في اللغة العربية وقواعدها، قال ثعلب: لو لا الفراء ما كانت عربية لأنه خلصها وضبطها. توثقت صلة الفراء بالخليفة المأمون حيث كان الفراء هو معلم

[9] الطويل، توفيق/ تراثنا العربي الإسلامي، ص: 41–42.
[10] ابن النديم ، محمد بن اسحق ،ص113–114.

ولدي المأمون،يقول ابن الجوزى:(وقد أمر المأمون الفراء أن يؤلف ما جمع به أصول النحو وما سمع من العرب وأمر أن يتفرغ للعلم في حجرة من حجر الدار، ووكل به جواري وخدمًا يقمن بما يحتاج إليه حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوق نفسه إلى شيء، حتى أنهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلاة، ووظف له الوراقين (أي أصحاب الورق) وألزمه، الأمناء والمنفقين فكان يملي والوراقون يكتبون حتى صنف الحدود في سنين، وأمر المأمون بكتبه في الخزائن، فبعد أن فرغ من ذلك خرج إلى الناس وابتدأ يملي كتاب المعاني وكان ورَّاقاه: سلمة وأبا نصر... فأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لإملاء كتاب المعاني فلم يضبط. فعددنا القضاة فكانوا ثمانين قاضيًا فلم يزل يمليه حتى أتمه، وله كتابان في المشكل أحدهما أكبر من الآخر.... فلما فرغ من إملاء كتاب المعاني خزنه الوراقون عن الناس ليكسبوا رزقهم، على أن التدوين صار له شهرة و مؤيدون، ازدهرت به حرفة (النشر) التي قام بها الوراقون وقد أرادوا[11].

2/6. المظاهر الإيجابية للتدوين:

بالتدوين كثرت المدونات والكتب، واتسعت المصنفات لتشمل كل نواحي المعرفة من فلسفة وحكمة وآداب و فقه وتفسير ولغويات وغيرها. كان ذلك في فترة انتعاش الحركة العلمية في العصر العباسي، ثم حين سيطر الفقهاء الحنابلة واضطهدوا المعتزلة والعقليين والمتأثرين بالثقافات الأجنبية لحق الاضطهاد بكتبهم ورموها بالزندقة، وفى سنة 311 وفي نصف رمضان أحرق العوام في بغداد(أربعة أعدال من كتب الزنادقة فسقط منها ذهب وفضة مما كان على المصاحف له قدر)، واعتُمِدَ على المدونات في العلم بدلا من الرواية الشفهية.

فهناك من تخصص في رواية كتب علماء بعينهم، مثل معاوية بن عمرو الأزدى الذي روى عن زائدة ابن قدامه كتبه ومصنفاته كما روى كتاب السيرة عن ابن إسحاق، وقد توفى سنة 215 في بغداد في خلافة المأمون. فقيل عن على بن الحسن ت 215 أن وفيما بعد تكاثرت المؤلفات، وبعضهم كانت له عشرات المصنفات، ومنهم محمد بن سعد صاحب الطبقات الكبرى الذي نعتمد عليه هنا، وقد اشتهر بكثرة مؤلفاته في الحديث وغيره، وقد توفى

[11] محمد، ماهر عبد القادر/ التراث الإسلامي، ص: 33.

عام 230. واشتهر ابن سعد بلقب (كاتب الواقدى) إذ كان يعمل كاتبا الواقدى المؤرخ المقرب من الخليفة المأمون.

2/7- انتشارالاستملاء:

وبازدهار التدوين أصبح الاستملاء ملمحا أساسيا للحركة العلمية بديلا عن مجرد الاستماع والحفظ الشفهي. فقيل عن كثير من العلماء في العصر العباسي الأول إنهم (كتبوا عنه) مثل منصور بن بشير، وكما اشتهر كثيرون بالعلم فانهال على مجالسهم الناس يستملون ويكتبون فإن بعضهم الآخر انصرفوا عنه، أو بتعبيرهم (تركوا الكتابة عنه) كان منهم إبراهيم بن محمد ويحيى بن أبى أنيسة ،وصاحب التدوين والاستملاء ازدهار صناعة الورق وظهور طبقة الوراقين، وكانوا محترفي النشر وقتئذ، ومنهم آدم بن إياس المتوفى عام 220، كما ازدهر نسخ المصحف وكتابته بأجر أو تطوعا، وممن اشتهر بهذه الحرفة مسلم بن كبيس الذي كان يكتب المصاحف للناس متطوعا ولا يشترط أجرا[12].

2/8 . مظاهر سلبية صاحبت التدوين:

وبرزت مصاعب في التدوين. أهمها:

الأخطاء الإملائية من تصحيف وتنقيط وغيره ، وكان ينتج عنها تغيير المعنى، الانتحال في التدوين، كان معضلة أكبر. فقد كان بعض المستملين غير أمين في كتابة ما يمليه الشيخ، وقد قيل في ترجمة الزبير بن بكار إنه كان ثقة ثبتًا عالمًا بالنسب عارفًا بأخبار المتقدمين وله " كتاب النسب". ولي القضاء بمكة وورد بغداد(فلما أراد أن يحدث بها قال: اعرضوا علي مستمليكم. فعرضوا عليه) فهذا القاضي العالم من ذرية الزبير بن العوام . لم يثق في المستملين الذين يكتبون علمه في بغداد، فأراد أن يختبرهم أولا. ومعناه أن الشك في المستملين كان حقيقيا استوجب حذر العلماء المؤلفين.

[12] حتي، فيليب/ تاريخ العرب/ص، 336-337.

ومن الطبيعي أنه بعد موت العالم فإن المستملين الذين لا أمانة لديهم كانوا يزيفون ما أرادوا في الكتب التي ينسخونها، بل وقد ينسبون كتبا إلى غير أصحابها، وهذا شائع في التدوين العربي في العصر العباسي[13].

المبحث الثالث: أدوات نشر الثقافة العربية والإسلامية وظهور المكتبات:

عرفت العصور العربية والإسلامية وسائل كثيرة وأدوات متنوعة لنشر الثقافة العربية لعامة الناس عن طريق بناء المكتبات ونشر التعليم وحلقات المساجد ومجالس المناظرة ومجالس الخلفاء وأسواق الوراقين، ويمكننا متابعة هذا عن طريق دراستنا لتلك الأدوات:

3/1التعليم:

يحتل التعليم مكان الصدارة في الأعمال التي كان يمارسها العلماء منذ صدر الإسلام والتي كان لها الأثر المهم في خلق الوعي الثقافي، ونشر العلم والمعرفة، وتطوير الحياة العلمية في البلاد الإسلامية، إن الناظر في سيرة الرسول وسنته الشريفة يجد أنه كان حريصاً على تعليم الناس، وكان يقصد من عملية التعليم هذه هداية الناس جميعاً لدين الله، ولذا، فقد كان يُعلِّم الناس دون ملل أو فتور، وفي حالتي الضعف والقوة؛ وكان تعليمه الناس على طريقتين:

أولهما: وهي الأكثر، أن يملي على حاضري مجلسه من القرآن والتربية الخلقية والمواعظ وأخبار الأنبياء السابقين. والثانية: جوابه عن أسئلة السائلين والمسترشدين وما يدور بينه وبين أصحابه من أطراف الحديث، وقد بلغ من حرص النبي على العلم والتعليم أنْ جعل فداء الأسرى ببدر مقابل تعليم القراءة والكتابة لعشرة من أبناء المدينة[14]. وأما إذا انتقلنا للكلام على التعليم في عصر الصحابة فلا نكاد نجد فروقاً كثيرة بين العصرين، إذ إنّ مسيرة التعليم كانت على نسق واحد من لدن الرسول حتى عصر الخلفاء الراشدين، مع ملاحظة تطور أنماط التعليم ونموّها تبعاً لناموس تطور المجتمع الإسلامي ونموّه. والسبب في ذلك

[13] محمد، ماهر عبد القادر/التراث الإسلامي /ص،52–53.

[14] حسين، سعيد/ أنواع المكتبات في العالم الإسلامي، ص–19.

راجع إلى كون الصحابة تشربوا سنّة النبي والمتمثلة في التعلم ثم التعليم، وبذلك تمكنوا من نشر الدعوة الإسلامية وتبليغها لمن استطاعوا ملاقاته من بني البشر، وهذا الأمر «جعل الصحابة حريصين على علم ما يصدر منه وربما تناوبوا لحضور مجلس النبي من علم القرآن ومعانيه وسنة رسول الله ومواعظه وأقصيته، وتصدى الصحابة بعد وفاة النبي لبثّ ذلك العلم بعد أنْ تعلموه وعملوا بما فيه.

3/2- بناء المدارس:

كان المسجد هو النواة الأولى للمدرسة في حضارتنا، فلم يكن مكان عبادة فحسب بل كان مدرسة يتعلم فيها المسلمون القراءة والكتابة والقرآن وعلوم الشريعة واللغة وفروع العلوم المختلفة، ثم أقيم بجانب المسجد الكُتّاب، وخصص لتعليم القراءة والكتابة والقرآن وشيء من علوم العربية والرياضة، وكان الكتّاب يشبه المدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر.

من أشهر المساجد في التعليم الإسلامي المسجد النبوي في المدينة المنورة والجامع الأزهر في القاهرة ومسجد قرطبة والجامع الأموي بدمشق.

على أن التعليم لم يكن خاصا بالمساجد، فكثيرا ما كان العلماء يقيمون حلقات التدريس ومجالس التعليم في منازلهم، ويضعون ما لديهم من كتب تحت تصرف طلاب العلم الذين يحضرون عندهم.

ثم لما نضج العلم وأثمر، ونبغ العلماء والفقهاء وأخذت الحركة التعليمية بالتوسع والانتشار، وتوافد العلماء وطلاب العلم من أقاصي البلاد الإسلامية على المراكز والحواضر العلمية في العالم الإسلامي، فعني العلماء والخلفاء بإيجاد أماكن خاصة لتعليم الطلاب، فأنشؤوا الكثير من المدارس ودور العلم، وفتحوها لطلبة العلوم[15].

3/3- بناء المكتبات:

-اهتم الخلفاء بتأسيس المكتبات العامة وجمعوا فيها الكتب العربية والفارسية والمترجمة عن اليونانية والفارسية، كما أنشؤوا المكتبات في المدارس والمساجد، ولم يكن هذا غريبًا لأن

[15] مجلة التراث العربي / www.aru@net.sy

الإسلام حض على العلم، واستخدم العقل في أمور الحياة فقال تعالى:" هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" صدق الله العظيم. وقد زاد على هذه النهضة العلمية والثقافية استخدام الورق في الكتابة، وأعطوا الحبر ألوانا مختلفة وزخرفوا وجوه الكنب وذهبوها. ونشطت حركة التدوين والتأليف نشاطا لم يعهده التاريخ إلا في العصر الحاضر.

وبازدهار حركة التأليف والترجمة وبخاصة في بغداد عاصمة العباسين ظهر الاهتمام بالكتاب وازدهرت هذه المكتبات تبعاً لتزايد أعداد الكتب وشغف الناس الشديد بالقراءة .

وكان من الطبيعي أن تؤدي هذه النهضة العلمية إلى جمع الكتب والمؤلفات، وتكوين المكتبات الخاصة ببعض الأفراد، وقد كانت في مجموعها صغيرة، ولكن مكتبات الخلفاء وكبار رجال الدولة ما لبثت أن تحولت إلى مكتبات عامة لخدمة طوائف معينة من القراءة. ولقد أوصى بها أصحابها أن تحفظ في المساجد والمدارس حفظا دقيقاً. وكذلك فإن أساتذة معاهد العلم أهدوا مؤلفاتهم ومكتباتهم الخاصة إلى معاهدهم. لقد كان القرآن الكريم ولا يزال فتحا جديد في تاريخ المعرفة الإنسانية، فهو قد رفع العلم والعلماء إلى أسمى منزلة.

وأقسم الله في محكم آياته بالكتاب وبالقلم وما يسطرون، كما حض القرآن على القراءة والتعليم في أول سورة نزلت على الرسول الأمين محمد بن عبدا لله صلى الله عليه وسلم، ومن هنا فليس بغريب أن توصف الحضارة العربية الإسلامية بأنها كتب ومكتبات. وإذا كان المصحف الشريف هو أول كتاب ظهر في لغة العرب، فقد بدأت حركة التأليف منذ منتصف القرن الأول الهجري، وشهد القرن الثاني ظهور الكتب وحركة تدوين التراث والتاريخ، متأثرة في ذلك بطريقة كتابة الحديث، أي في القرنين الهجريين الثالث والرابع رأينا ازدهار حركة التأليف خصوصاً بعد إقامة صناعة الورق في بغداد، ونظرا لحبِّ المسلمين الأوائل للكتب والقراءة والعلم، وكنتيجة لاتصالهم بالثقافات الأجنبية التي وجدوها في البلاد التي فتحوها، انتشرت عندهم أنواع عدة من المكتبات.

إن تاريخ الكتب عند المسلمين مهمٌ جداً وأساسي لمعرفة تطور المعرفة الإنسانية عندهم، ذلك أنه لم تتفوق على المسلمين أمةٌ من الأمم في حبهم للكتب والعناية بالمكتبات والمعرفة

بعامة. والمكتبات من أهم وسائل نشر المعرفة على مدى العصور وقد انتشرت المكتبات في الإسلام انتشارا واسعاً. وهي وإن كانت ثمرة من ثمار الحضارة العربية الإسلامية إلا أنها تعكس في تاريخها هذه الحضارة التي كانت هي نفسها ثمرتها وأن الأطوار التي مرت بها هي أطوار الحضارة الإسلامية بعامة.

هذا ويعد العصر العباسي عصر الإبداع في الحضارة الإسلامية، وفيه نضجت الحضارة الإسلامية وأينعت وآتت أكلها وزخرت البلاد الإسلامية بالعلماء والتلاميذ والعاهد والمدارس، وكان للمكتبات من ذلك نصيب موفور، إذ تبارى الخلفاء والأمراء والأفراد والوزراء والحكام في العناية بالمكتبات وفي تشجيعها، ونجد في هذا العصر جميع أنواع المكتبات. **3/4- أنواع المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية:**

عرفت الحضارة العربية الإسلامية أنواع عدة من المكتبات ومن تلك الأنواع ما يأتي:

1- المكتبات الأكاديمية.

2- المكتبات الخاصة.

3- المكتبات الخلافية.

4- المكتبات العامة.

5- المكتبات المدرسية.

6- مكتبات المساجد أوالجوامع.

1- المكتبات الأكاديمية: وهذه المكتبات من أشهر المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، وقد وجه الإسلام جل عنايته إلى طلب العلم وجعل القرآن الكريم الأشخاص غير المتعلمين في عداد الأموات. ومن أشهر المكتبات الأكاديمية، مكتبة بيت الحكمة، يعد(بيت الحكمة) أعظم المكتبات العربية شأناً أقدمها زمانا، وأول من فكر بإنشاء هذا البيت أبو جعفر المنصور، فقد خصص بناية مستقلة جمع فيها نفائس الكتب ونوادرها من المؤلفات العربية والمترجمة عن اللغات المختلفة[16].

[16] حسين، سعيد/ أنواع المكتبات في العالم الإسلامي، ص-23.

2– المكتبات الخاصة: انتشر هذا النوع من المكتبات في جميع أنحاء العالم الإسلامي بشكل واسع وجيد، بحيث يمكن القول بأن هذا النوع من المكتبات قد فاق في بعض الأحيان على غيره من الأنواع الأخرى. ومن أمثلتها مكتبة سعد بن عبادة الأنصاري التي حوت فيها كتبا طائفة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومكتبة الصاحب بن عبادة التي بلغت عشرات المجلدات، ومكتبة المستنصر الأموي[17].

3– المكتبات الخلافية: هي نوع من المكتبات انتشر على امتداد العالم الإسلامي من المشرق إلى المغرب، وهذه المكتبات كان ينشئها الخلفاء والأمراء والحكام من أجل أنفسهم، وقد جعلوها حلقات للمناظرة والسمر والمحاضرات والعلوم المختلفة، كما كانت من أجل نشر مذهب يعتنقه الحكام والأمراء. ومن أمثلتها: تلك المكتبة التي أسسها السامانيون في بلاد خراسان، خزانة الكتب في العصر الفاطمي، مكتبة الحكم الثاني.

4– المكتبات العامة: هي مؤسسات ثقافية يحفظ فيها تراث الإنسانية الثقافي وخبراتها ليكون في متناول المواطنين من مختلف الطبقات والأجناس والأعمار والمهن والثقافات. ومن أمثلتها: مكتبة بني عمار في طرابلس الشام، وكان لهم وكلاء يجوبون العالم الإسلامي بحثا عن الروائع لضمها إلى المكتبة، وكان بها خمسة وثمانون ناسخا يشتغلون بها ليلا نهارا في نسخ الكتب .

5–المكتبات المدرسية: أولت الحضارة العربية الإسلامية اهتمامها بإنشاء المدارس من أجل تعليم الناس جميعاً وبها (أي المدارس) ألحقت المكتبات، وهو الشيء الطبيعي المكمل لهذا الرقي والازدهار، وتقول النصوص التاريخية أن أول من أسس مدرسة في الإسلام هو نظام الملك وزير السلاجقة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، ومن المكتبات أيضاً مكتبة ابن جبيرة، ومكتبة مدرسة الفاخرية في بغداد.

[17] محمد أسد /أصول حضارة الإسلام ، ص–24.

6- مكتبات المساجد والجوامع: إن المكتبات في الإسلام قد نشأت مع نشأة المساجد، حيث يعدُّ المسجد من مظاهر الحضارة الإسلامية لأهميته الكبيرة في الحياة الدينية والسياسية والفكرية، ومن أمثلتها: مكتبة جامع الأزهر، كذلك مكتبة الجامع الكبير في القيروان.

وإذا كانت مكتبات المساجد تقوم بوظيفة المكتبات المدرسية والجامعية في القرون الأولى من تاريخ الإسلام، فقد زودت المدرسة المستنصرية النظامية في بغداد، في منتصف القرن الخامس الهجري مكتبة ضخمة كان فهرسها كما يقال يضم ستة آلاف مجلد، واشتهرت بعض هذه المدارس مدارس أخرى كالمستنصرية لتكون جامعة تحمل اسم المستنصر العباسي فيما بعد[18].

المبحث الرابع: مجالس الإملاء ودورها في نشر الثقافة العربية والسلامية:

4/1- مفهوم مجالس الإملاء:

سارت المؤلفات العربية عبر مسيرتها الطويلة في طريقين رئيسين من المؤلف إلى القارئ:

الطريق الأول: طريق التأليف، ونعني به أن يعكف المؤلف على جمع مادة كتابه ومراجعتها وتهذيبها وتنقيحها، ثم يخرجها للناس كتابا.

الطريق الثاني فهو: مجالس الإملاء التي انتشرت في المدن الإسلامية في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهو أن يجلس العلماء والفقهاء والمحدثون وحولهم التلاميذ بمحابرهم و قراطيسهم، فيتكلم العالم أو الفقيه أو المحدث بما فتح الله عليه من العلم، ويكتب التلاميذ ما سمعوه فيصير كتابا ويسمونه الأمالي .

ويمكننا القول إن مجالس الإملاء هي بمفهوم العصر الحديث عبارة عن محاضرات عامة في فروع المعرفة التي كانت تهم الجماهير كالحديث والفقه واللغة والأدب.

وكان لكل من يشترك في هذه المحاضرات من كبار العلماء مجلس خاص فيه يعرف ب(مجلس الإملاء) يحضره كل من له اهتمام بمادة تخصصه، ولم يكن يتصدى للإملاء إلا من وثق بنفسه

[18] الصوفي، عبد الله/ المكتبات وخدماتها، ص-65

ووثق الناس به وشهدوا له بالعلم والفضل، حيث كان الإملاء أعلى وظائف الحفاظ على اللغة. ويؤكد السيوطي هذا القول فذكر:" أن الحفاظ من أهل الحديث أعظم وظائفهم الإملاء".

ولا بد لنا من التمييز بين الأمالي ومجالس الإملاء، فاختلاف التسمية بينهما يشعر بالفرق في استعمالهما، وأول من تنبه إلى ذلك الأستاذ عبد السلام هارون في قوله:" أرى أن هناك فرقا دقيقا بين هذين اللفظين في أصل استعمالهما، وكل منهما مظهر لما كان يدور من تدوين لأقوال العلماء والمتصدرين للتعليم.

أما الأمالي فكان يمليها الشيخ أو ينيبه عنه بحضرته– ويقصد الأستاذ هارون بالنائب المستملي– فينقلها الطلاب في دفاترهم، وفي هذا يكون الشيخ قد أعد ما يمليه أويلقي إلى الطلبة ما يشاء من تلقاء نفسه."

وأما المجالس فتختلف عن تلك بأنها تسجيل كامل لما كان يحدث في مجالس العلماء، ففيها يلقي الشيخ من تلقاء نفسه، وفيها كذلك يسأل الشيخ فيجيب، فيدون كل ذلك فيما يسمى (مجلسا).

2/ 4– النشأة والتطور:

يمكن أن نرجع تاريخ الأمالي إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كما يمكن أن نحدد أول آمالي دونت في الإسلام هي أماليه عليه الصلاة والسلام.

فقد روى أبو سعد السمعاني في أدب الإملاء والاستملاء بسنده عن أم سلمة رضوان الله عليها زوج النبي عليه الصلاة والسلام، فقالت:" دعا رسول الله بأديم وعلي بن أبي طالب(رضي الله عنه) يملي ويكتب علي حتى ملأ بطن الأديم وظهره وأكارعه[19] ".

وما أملاه رسول الله على أمير المؤمنين وخطه بيده– تلك الأمالي التي تسمى بالصحيفة وكان طولها سبعين ذراعا، وكانت تطوى مثل فخذ الفالج– الجمل العظيم– وقد تسمى بالجامعة لاحتوائها على كل حلال وحرام .

[19] جري، ثابت/ المخطوطات العربية أهميتها وتحقيقها /، ص–2.

وهنالك أمالي نبوية دوّنها أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب بخطه أخصر مما سبق، وانتشر تدوين الأمالي بعد ذلك العهد– فكان للإمام(عليه السلام) أمالي في علوم القرآن اشتملت على ستين نوعا من أنواع علوم القرآن.

وكان لحبر الأمة عبد الله بن عباس أمالي في التفسير، فقد ذكر أهل السير أنه أول من أملى في تفسير القران، وهذا التفسير الذي أشار إليه جرجي زيدان في حديثه عن تفسير الحبر ابن عباس، وأنه أملاه على مجاهد، ولا تزال نسخته موجودة وسنده صحيح إليه، وللحبر أمالي في فنون شتى، إذ كان يخص كل يوم لإملاء علم خاص، فقالوا: كان يجلس يوما لا يذكر إلا الفقه، ويوما لا يذكر إلا التأويل، و يوما للشعر، ويوما لأيام العرب.

وهكذا انتشرت مجالس الإملاء في عصر الصحابة والتابعين، و كثر الاستملاء فقلَّ أن تجد عالماً ليس له حلقة يملي فيها– وكان شيوخ العلم في بلد إذ تسامعوا بإمام من أئمة الحديث دخل بلدهم سرعان ما اجتمعوا وعقدوا له مجلس إملاء، وطلبوا منه أن يملي عليهم.وهذا يؤكد مدى شغف الناس بالعلم وطلبه.

ويبدو أن مجالس الإملاء هذه قد بدأت تنتشر وتصبح ظاهرة عامة على مشارف القرن الثالث الهجري. ويظهر أنها ظلت متمركزة في العصر الأموي بين منزل العالم أو الفقيه والمسجد، وكانت تقتصر على طالبي العلم، أو الذين يقصدون العالم للاستفسار عن بعض الأمور الشرعية أو ما يتعلق بحياتهم، وظلت محافظة على هذا الشكل طيلة العصر الأموي. وبعد أن أصبحت بغداد عاصمة الخلافة العباسية ومركز الحركة العلمية ومقصد العلماء والأدباء من شتى بقاع العالم العربي والإسلامي.

أصبحت مجالس الإملاء من نسيج الحركة العلمية والثقافية التي تمركزت في العاصمة بغداد. في تاريخ بغداد (للخطيب البغدادي[20].

[20] –موقع الوراق اريخ الدخول /32019/3/3 www.alwaraq.com

4/2– الدور العلمي لمجالس الإملاء:

أسهمت مجالس الإملاء إسهاماً فعالة في الحركة العلمية عبر مسيرة الحضارة العربية الإسلامية. وأدَّت دورا بارزا في دفع حركة التعليم و تطورها. حيث انتشرت هذه المجالس في الآلاف من المساجد، وحجز العلماء والفقهاء زوايا في هذه المساجد. بل كان لكل عالم أو فقيه ركن خاص في هذا المسجد يلتقي مع تلاميذه و يملي عليهم أحيانا، ويسمع لهم قراءاتهم أحيانا أخرى. وكان التلاميذ يتلقون المحاضرات في مختلف العلوم الشرعية والأدبية واللغوية والتاريخية.

وكان على الطالب أن يقضي سنوات محددة لإتمام دراسته، وكان العالم أو الفقيه يمنح من أتمَّ دراسته الإجازة التي تسمح له بالرواية أو الحديث أو الإملاء[21].

وقد عرفت تلك الشهادات في ذلك العصر (بالإجازات و السماعات) وهي أشبه ما تكون بالشهادات التي تمنحها جامعات اليوم، وتحمل آلاف المخطوطات التي وصلتنا من ذلك العصر نماذج عن هذه الإجازات وتلك السماعات. حيث كان على الطالب أن يحضر مخطوطة في موضوع معين بعد أن أتم قراءتها قراءة جيدة، واستوعب كل ما يتعلق بموضوعها، ثم يحضر إلى مجلس العالم ويقرأ له ويجيب عن أسئلته. ثم يجيز له العالم الرواية أو الحديث في الموضوع الذي امتحن فيه بنجاح. وقد يحضر السماع أكثر من عالم. ويكتب العالم على المخطوطة في الصفحة الأولى أو الثانية، وأحيانا في آخر المخطوطة ما يفيد إجازته، ويكتب اسمه وتوقيعه وتاريخ الإجازة محددا اليوم والشهر والعام.

وهذه الإجازات لها فوائد كثيرة في أثناء تحقيق هذه المخطوطات، حيث تحدد لنا تاريخ المخطوط والعصر الذي كتب فيه إذا غفل المؤلف عن ذكر فراغه في كتابته.

[21] محمد، ماهر عبد القادر/ التراث الإسلامي، ص–74–75.

كما أن هذه الإجازات تؤكد صحة المخطوطة، وعدم تحريفها أو تزويرها، إضافة إلى إعطاء صورة كاملة عن الحركة العلمية والتعليمية في ذلك العصر.

4/3- الدور الثقافي لمجالس الإملاء:

كان الإملاء في بادئ الأمر يقتصر على الحديث والفقه والتفسير ولا يتجاوز منزل الشيخ أو العالم. ونتيجة إقبال الناس الشديد؛ أصبح وجود المجالس لا يقتصر على بعض الأزقة الضيقة- وإنما مجالس ضخمة يرتادها الآلاف من الناس- ويناقش ضمنها الكثير من الموضوعات في كل أشكال العلوم، من أدب وتفسير وفقه وغيرها.

وهذه المجالس لم تكن محصورة بطبقة معينة من الناس بل كان يرتادها جميع طبقات الشعب بمختلف شرائحه، وكانت المجالس تعقد بأمكنة معينة وأزمنة محددة.

وبهذا يسهل على الناس معرفة مواعيد المجالس ليتسنى لهم حضورها، فمنهم من كان يعقد مجلسه كل جمعة أو كل ثلاثاء- و إذا كان هنالك أي مناسبة شريفة أو حادثة إسلامية ذات شأن- كان الشيخ يراعي ذلك، ويأتي على ذكره.

وزاد على إقبال الناس على هذه المجالس وحضورها أنهم يجدون أنفسهم وجها لوجه مع العالم أو الفقيه، يسمعون منه، ويتبادلون الحوار معه في مسائل مختلفة[22].

4/4- دور مجالس الإملاء في عملية التأليف والنسخ:

لقد كانت هذه المجالس هي الرافد الثاني في تأليف المخطوطات، حتى يتخيل للمرء عندما يتتبع ظهور الأمالي أن غالبية هذه المخطوطات صدرت عن هذه المجالس. فيقال إن أمالي إبراهيم الأنصاري بلغت ما يقارب من ثلاثمائة مجلد في الفقه. ولعل أشهر الأمالي هي أمالي الثعلب والزجاج في النحو.

وأمالي ابن دريد في العربية، وأمالي أبو جعفر البحتري في الحديث، وأمالي أبي علي القالي، وأمالي الهمذاني، والزيادي ... وغيرهم.

[22] البغدادي، أحمد بن علي الخطيب/ تاريخ بغداد، 207

والسؤال الذي يطرح نفسه، هو كيف كانت تلك الأمالي تستوي كتباً في أيدي الناس؟

كان في البداية عندما يفرغ العالم من إملاء موضوعه في مجلس الإملاء يجمع عدة نسخ من المستمْلين، ويقابلها، ثم يأْذَنُ للنساخ بنسخها. وكانت هذه الطريقة شاقّة، وتتطلب الوقت والجهد.

وكان بعض المؤلفين يراجعون ما يملون بطريقة أن يأتي بنسخة ويطلب من ناسخها أن يقرأها عليه، ثم يضيف أو يحذف أو يغيّر، وبهذه الطريقة وقع الاختلاف بين النسخ.

وكان الكثير من العلماء يملون مجالسهم دون أن يعودوا إلى مراجعتها أو مقابلتها. فكان الكتاب يتعرض للزيادة والنقصان إذا تكرر إلقاؤه في أكثر من مجلس. ثم يدفع بهذه الأمالي إلى سوق الوراقين، حيث انتشرت حوانيت الوراقين وأسواق الوراقة وكانت مركزاً للنشاط العقلي، وحوانيتهم مستودعا لكل ما أنتجته القريحة العربية في شتى فروع العلم– وكانت كثرتها دليلا واضحا على اهتمام الناس بمجالس الإملاء.

وكان الوراقون يقومون بما تقوم به المطابع في هذه الأيام، وهو إصدار النسخ اللازمة للسوق من كل كتاب. وكان عدد النسخ يختلف باختلاف إقبال الناس على الكتاب وحاجتهم إليه، كل نسخة مخطوطة تمتاز من غيرها في الخط والورق والحجم وغير ذلك من السمات التي يطلبها القراء[23].

أشارت النتائج إلى الآتي:

إن حلقات الدرس ومجالس الإملاء كظاهرة امتازت بها الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى قد تفاعلت مع الحركة العلمية، وأسهمت في رفدها بآلاف الكتب. وأدَّت دورا مميزا في نشر الثقافة العربية لعامة الناس.

واعتلى منابرها أبرز العلماء الثقات يحاضرون في مختلف العلوم وأنواع الفنون في ذلك العصر الذهبي للحضارة العربية.

ومن هذه المجالس تخرج آلاف الطلاب الذين أخذوا عن علمائهم التواضع والأمانة العلمية، وسلكوا أصول مناهجهم فكانوا خير خلف لخير سلف.

[23] خليفة، حاجي/ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ،ص74–75.

هناك الكثير من الجوانب المضيئة في تاريخنا العربي يتطلب منا الإضاءة عليه، والاستفادة من التجارب التي مرت بها أمتنا. وصحيح أن التاريخ لا يعيد نفسه والماضي أصبح من الماضي، ولكن الأمم من دون تاريخ كالرجل الذي فقد ذاكرته، وكالشجرة بلا جذور. والأمة عندما تتنكر لتراثها تصبح كالوجه دون ملامح. وإن تراث الأمة الحضاري الذي تراكم عبر عصور طويلة هو الذي يحدد ملامح شخصيتها الحضارية، ويبلور هويتها الثقافية.

وحري بنا أن نعود إلى هذا التراث الفكري الذي خلفته لنا الحضارة العربية الإسلامية، ونعمل على تحليله ودراسته وتحقيقه، ونشر ما يستفاد منه في بناء حضارتنا، ويسهم في دفع نهضتنا إلى مزيد من التقدم والتطور.

المراجع والمصادر:

1- آل إبراهيم، صالح

التطوع والنهوض العلمي/ تأليف صالح آل إبراهيم0- بيروت: دار الفرقان العربي، 2001 0- 200ص؛ 25سم.

2-ابن النديم، محمد بن إسحق

الفهرست/ تأليف ابن النديم؛ تحقيق ناهد عثمان 0- دار قطري بن الفجاءة، 1985 0-725ص؛27سم.

3-بدر، أحمد

مدخل لعلم المكتبات/ تأليف أحمد بدر0-بيروت: الرسالة للطباعة، 1981 0-175 ص؛25سم.

4- البغدادي، أحمد بن علي الخطيب

تاريخ بغداد / تأليف الخطيب البغدادي؛ تحقيق د. مصطفى عبد القادر عطا 0- بيروت : دار الكتب العلمية،1997 0-353ص؛25سم.

5- جري، ثابت

المخطوطات العربية أهميتها وتحقيقها/ محاضرة للدكتور ثابت جري س2- 2007

6- حمادة، ماهر

المكتبات في الإسلام/ تأليف ماهر حمادة- بيروت: الرسالة للطباعة،1981؛25سم.

7- حتي، فيليب

تاريخ العرب/ تأليف فيليب حتي- بيروت: دار غندور، 1975 0-300 ص؛25سم.

8- حسين، سعيد

أنواع المكتبات في العالم الإسلامي/ تأليف سعيد حسين 0- الأردن: دار الفرقان، 1984 0- 193ص؛25سم

9- حمودة، محمد عباس
تاريخ الكتاب الإسلامي/ تأليف محمد عباس حمودة- الرياض: دار ثقيف،1991 0 -100ص؛ 27سم.
10-خليفة، حاجي
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/ تأليف حاجي خليفة - بيروت: دار الفكر،1982 ؛27سم.
11-رشاد، حسن
المكتبات ورسالتها/ تأليف رشاد حسن- بيروت: دار الفكر، 1986 0-380ص؛ 25سم.
12- محمد، ماهر عبد القادر
التراث الإسلامي/تأليف ماهر عبد القادر محمد- بيروت: دار الكتب العلمية،1981 0 -190ص؛25سم
13- الصوفي، عبد الله
المكتبات وخدماتها / تحقيق عبد الله الصوفي 0- عمان: جمعية المطابع الوطنية، 1991 0-166ص؛25سم.
14- الطويل، توفيق
تراثنا العربي الإسلامي/ تأليف توفيق الطويل0- الكويت: المجلس الوطني للثقافة،1985 0-200ص؛25سم.
15- غارديه، لويس
أهل الإسلام/ تأليف لويس غارديه؛ ترجمة صلاح برمدا 0- دمشق: وزارة الثقافة،1989 0- 199ص؛25سم.
16- غوستاف، لوبون

حضارة العرب/ تأليف لوبون غوستاف؛ ترجمة عادل زعيتر 0– القاهرة: مطبعة عيسى البابي،1969 0–659ص.

17– كردعلي، محمد

الإسلام و الحضارة العربية/ تأليف محمد كردعلي 0– القاهرة: دار الكتب المصرية،1934 0– 150ص؛25سم.

18– محمد أسد

أصول حضارة الإسلام/ أسد محمد 0– بيروت:دار الكتاب العربي،1983 0– 200ص

19– ميتز ،آدم

الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع / تأليف آدم ميتز؛ ترجمة عبد الهادي أبو وريدة 0– بيروت: دار الفكر العربي،1995 0–395ص؛25سم

20– محمد، ماهر عبد القادر

التراث الإسلامي/ تأليف ماهر عبد القادر محمد 0– القاهرة: المركز المصري للأبحاث،1985 0–142ص؛25سم .

21– النجار، عبد الحليم

العلم عند العرب/ تأليف عبد الحليم النجار0– القاهرة: دار القلم،1962 0– 322ص

22– الهمشري، عمر

أساسيات علم المكتبات والتوثيق / تحقيق د. عمر الهمشري؛ ربحي العليان 0– الأردن: مطابع جريدة الأسواق،1998 0–300ص؛25سم.

23– هونكه، زيغريد

شمس العرب تسطع على الغرب/ تاليف زيغريد هونكه؛ ترجمة فاروق بيضون؛ كمال دسوقي 0–المغرب: دار افاق،1991 0–592ص

المراجع الإلكترونية:

24– مجلة التراث العربي: تاريخ الدخول 2019/11/11/ www.aru@net.sy

25- منتدى الحلم العربي / مقالات متفرقة للدكتور عبد الغفور الخطيب /تاريخ الدخول/2019/4/15www.arabicdream.com

26- منتدى الشبكة الإسلامية / المنظور التاريخي للتدوين تاريخ الدخول/2019/101/ www.islamweb.net

27- منتدى اليسير للمكتبات و المعلومات / مقالات للدكتور سهيل الملاذي تاريخ الدخول/2018/12/1 / www.alyaseer.net

28- المجلة العربية للمعلومات تاريخ الدخول/2019/2/4www.arabcin.net

29- موقع الوراق تاريخ الدخول:2019/1/22www.alwaraq.com

30- منتديات ستار تايمز: تاريخ الدخول 2019/2/11 www.startimes

31- صحيفة الحقائق تاريخ الخول/2019/1/5 www.alhaqaeq.com